أمراً الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك في ان لا يبغيه علمه وهذا كما تقول لمن يقارف
بعض الرذائل لا تفعل هذا ونحوه مما يلصق بك العار فتنبهه اولاً عن عين ما قارفه
ثم تعم وتشنع وتأمره بما هو امثل فيه اترك لمن تركت تلك الفعلة وكل ما يضرب في
طريقها ويتعلق بسببها ان الله سميع لما تقول وعليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى
ويراقب اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب
وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن
تأملهم وما اخذوا به عند مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذي
المحافظة عليه تعود عليهم بعظم الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام صاحب
الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه ان يألو عملاً بما
يحدوه عليه وارتداعاً عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي انه اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء
الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالباً لكلامكم
وجهره باهراً لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه
عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه
بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم
والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم
وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون
مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه
بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله لا اكلمك
الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلم النبي

صلى الله عليه وسلم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفد ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة
والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما
يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض
صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء
فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير
ولم يتناول النهي ايضاً رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله وهو ما كان منهم في حرب
او مجادلة معاند او ارهاب عدو او ما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عليه السلام
للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس
صوتاً يروى ان غارة اتتهم يوماً فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة
صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة ... زجر ابي عروة السباع اذا اشفقن ان يختلطن بالغنم
زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة
ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الاعلم الهذلي
رفعت عيني بالحجاز الى اناس بالمناقب ... وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا
عن الرفع الشديد تخيلاً ان يكون ما دون الشديد مسوغاً لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا
عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس
ابن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا كلم رفع صوته وربما
كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن انس انه لما نزلت هذه الآية
فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشأنه فدعاه فسأله
فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون
عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير